لغة توفيق الحكيم في رواية "عودة الروح"

عبد الباسط محمد عبده محمود

تقديم

"اللغة واسطة العقد ،وأداة التواصل ،مزيج متجانس ،وائتلاف متناسق من لهجات أسهمت في بناء العربية وصرحها المتين. والعربية أقيمت علي هذا الائتلاف ،فانتظمت مستوياتها الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية ،وأثمرت نتاجات تشهد بالقدرة علي تمكن هذه اللغة من استيعاب العلوم والمعارف الإنسانية ،وتعكس قوة العقل العربي ورسوخه في الأداء والعطاء".[١]

وللغة دور مهم وبارز في حياة الشعوب قديمها وحديثها باعتبارها وسيلة الاتصال والتعبير بين الأفراد أنفسهم، وبين المجتمعات الإنسانية كلها، فاللغة ارتبطت بالوجود في مختلف صوره[٢] ،وباللغة نعرف العالم وبها نبنيه [٣]،ولهذه الأهمية ولهذا الدور الذي تؤديه اللغة في حياة الشعوب والمجتمعات الإنسانية ،فإنه كان من المنطقي أن تكون محل دراسة واهتمام من قبل الباحثين،سواء المشتغلين منهم بعلوم اللغة أو المشتغلين منهم في مجالات أخري .

واللغة "كائن حي لا يبقي علي حال من الركود والجمود، بل أنها تتجدد، وتدخلها تعبيرات وتراكيب، في حين تموت تعبيرات أخري ،أو تصبح متكلفة أو مستغلقة علي الإفهام"[٤]

وفي هذا البحث نتعرض لمفهوم اللغة الروائية ،ووظائفها ،الوظيفة(الفكرية – التأثيرية – الجمالية – التمثيلية– التواصلية – التسجيلية– التكاملية) ،ثم نستعرض القضية التي شغلت الجميع وهي (الفصحى والعامية) ما بين مؤيد ومعارض ، ثم الرحلة الطويلة التي خاضها توفيق الحكيم مع اللغة ، واللغة الثالثة ، ثم نتعرض للغة

١– الدلالة الصوتية والصرفية في لهجة الإقليم الشمالي لمدينة البصرة د/ عبد القادر عبد الجليل ،دار صفاء عمان . ط .الأولي ١٩٩٧م

٢ –اللغة العربية وتحديات العولمة الثقافية ، محمد تاج ،مجلة "حوليات التراث "العدد٦" يونيو ٢٠٠٦ م كلية الآداب والفنون جامعة مستانم – الجزائر.

٣ – اللغة في السياق الثقافي في الكتابة النسائية ، رفقة دودين ، مجلة الموقف الأدبي ،العدد ٤١٥، تشرين الثاني ٢٠٠٥م مشق اتحاد الكتاب العرب ص ١٦.

٤ – منهج البحث في التاريخ والتدوين التاريخي ، محمد عبدالكريم وافي، ليبيا ،جامعة قار يونس ١٩٩٥، ص ١٣٦.

الحكيم في روايته (عودة الروح) وكيف تنقل الحكيم في هذه الرواية بين الفصحى والعامية ،فقد جعل لغة السرد فصيحة ،بينما جعل لغة التخاطب بين الأفراد عامية خالصة ، فتوفيق الحكيم زاوج بين اللغة الفصيحة، والعامية ،ففي (عودة الروح) ظهر صوتان لغويان، الأول فصيح مبسط تلفظ به السارد ،والثاني عامي حواري أجراه توفيق الحكيم علي ألسنة شخوصه. وأخيرا نعرض دور الحوار في هذه الرواية .

رحلة توفيق الحكيم مع اللغة :

كتب الحكيم قبل سفره إلي فرنسا مسرحيات بلغة سهلة تناسب جمهور المسرح ولم يكن يفكر حينئذ في المطبعة ، فالمسرحية كانت تكتب لتمثل ، وحينما انتقل إلي باريس واطلع علي الأدب ، وجد المسرحية تلحق بالأدب ،فقرر أن يدخلها إلي عالم الأدب العربي فكتب مسرحياته الأولي مثل " أهل الكهف" و"شهر زاد" بلغة راقية تطفو عليها شاعرية دون أن يجهد نفسه في البحث عن لغة متكلفة ، وحازت "أهل الكهف" إعجاب نقاد الأدب آنذاك ، وفي مقدمتهم الدكتور طه حسين [١]،وهو اعتراف يعني تزكية هذه المسرحية بمضمونها وأفكارها ولغتها أيضا ، لأن عميد الأدب العربي سرعان ما انتقد بشدة اللغة التي كتب بها الحكيم مسرحية "رصاصة في القلب"[٢] ، ولكن الحكيم لم يثنه ذلك النقد اللاذع عن مواصلة جهود تطويع اللغة للمسرح.

ولكن الحكيم شأنه شأن كتاب المسرح واجه مشكلة اللغة ،فمن جهة يريد أن يلحق المسرحية بالأدب ، ولذا ينبغي أن تكتب بلغة راقية أي لغة الأدب ، ومن جهة أخري كان الرائج في مسارح التمثيل هي المسرحيات المكتوبة بالعامية ، وقد أخذ الجمهور يستسيغ هذا النوع من المسرحيات. وكان العديد من المسرحيات المكتوبة بالفصحى تعاد كتابتها بالعامية حينما يراد تمثيلها ، وقد حدث هذا حتى مع مسرحيات الحكيم ، بل جرب الحكيم نفسه الكتابة بالفصحى والعامية في موضوع مستوحى من

---

١ – ينظر: فصول في الأدب والنقد ، طه حسين . المجموعة الكاملة . المجلد الخامس .الشركة العالمية للكتاب .الدار الإفريقية العربية . بيروت . لبنان د.ت، ص ٤١٩.

٢ – ينظر: توفيق الحكيم ، لوسي يعقوب ص ٢٤.

بيئة واحدة ،حينما كتب من وحي البيئة الريفية مسرحية "الزمار" بالعامية ومسرحية "أغنية الموت" بالفصحى.

واشتد الجدل حول لغة المسرح في الأربعينيات والخمسينيات من القرن الماضي: هل تكتب المسرحية بالعامية أو الفصحى؟ فظهر الحل الداعي للكتابة بالعامية إن أريد التمثيل وبالفصحى إن كان المقصود هو ظهورها في كتاب للقراءة. ويقر الحكيم أن الكتابة في المسرح العربي باللغتين الفصحى والعامية يحل بعض المشاكل ،ولكن المشكلة تظل قائمة لأن الحل غير نهائي ، يقول : "...أشك في أن المشكلة قد حلت تماما ، فاستخدام الفصحى يجعل المسرحية مقبولة في القراءة ،ولكنها في التمثيل تستلزم الترجمة إلي اللغة التي يمكن أن ينطقها الأشخاص فالفصحى إذن ليست هنا لغة نهائية في كل الأحوال ،كما أن استخدام اللغة العامية يقوم عليه اعتراض وجيه: هو أن هذه اللغة ليست مفهومة في كل زمن ولا في كل قطر ، بل ولا في كل إقليم :فالعامية إذن ليست هي الأخرى لغة نهائية في كل مكان أو زمان" (١)

قبل هذا كان الحكيم قد اقترح أن تكون لغة المسرح هي العربية المبسطة والتي تستعمل في الصحافة ، وأما عند التمثيل فيمكن أن تنطق الشخصيات بلهجة البلد أو الإقليم الذي يتم التمثيل فيه ، بيد أنه عارض أن تكتب المسرحية باللهجة ، لأن في ذلك تفتيت للأدب والفكر واستحالة إيصاله إلي كل من يتكلم باللغة العربية .(٢)

وفي الوقت الذي تعالت صيحات تخوف علي مستقبل اللغة الفصحى التي باتت تهددها اللهجات العامية ،أكد الحكيم عكس ذلك ،حيث رأي أن العامية هي المهددة بالزوال ؛لأن الفارق بينها وبين الفصحى يضيق يوما بعد يوم ؛أي أن العامية تقترب يوميا من اللغة الفصحى بفعل انتشار الثقافة والتعليم .(٣) وكان هذا الرأي بمثابة الإرهاص لظهور فكرة " اللغة الثالثة" وهي الحل الوسط الذي اقترحه الحكيم للجدل

---

١ – الصفقة ، توفيق الحكيم . مكتبة الفجالة . مصر د.ت ص ١٥٦.

٢ – ينظر:أحاديث مع توفيق الحكيم ، صلاح طاهر ، مطابع الأهرام التجارية – مصر – ١٩٧١م – ص ١٤٧.

٣ – ينظر: ٨٥ شمعة في حياة توفيق الحكيم ، محمد السيد شوشة ، ص ١٨٧

القائم بين الفصحى والعامية ، وطبق الوصفة الجديدة في مسرحية" الصفقة" ،وتتمثل في الكتابة بلغة تجمع بين الفصحى والعامية ، بل يمكن قراءتها قراءتين مختلفتين مرة بالفصحى ،فتناسب القراءة، ومرة بالعامية فتجد طريقا إلي التمثيل بيسر.

لغة الحكيم في رواية (عودة الروح):

إن الاهتمام باللغة في الأدب ليس المراد به العودة إلي القواميس بحثا عن ألفاظ غريبة تستعصى علي الفهم ،مثلما شاع في مطلع القرن الماضي ، وكان ذلك محل تفاخر وعنوان الامتياز،ولذا ثار عليه الأدباء المبدعون كالحكيم الذي كتب لصديقه (أندريه):" والأدب في عرفهم مرادف للغة.. اللغة....اللغة هي لدينا شبح الأدباء المخيف"(١)

وكان اهتمام الحكيم باللغة مخالفا لاتجاه الرافعي وغيره ممن يرون أن الأدب لابد أن يكتب بلغة تضاهي لغة العصور الأولي للحضارة الإسلامية ، وأن جودة الأدب تنبع من التمسك بلغة الأدب القديم ، بينما رأي الحكيم أن علي الأديب أن يعبر بلغة عصره.

ولم تتوقف جهوده عند هذا ، بل راح يكمل جهود لطفي السيد في تجديد اللغة شكلا ومضمونا ، فنشر الحكيم عام ١٩٣٦ مقالا بعنوان " الكتابة العربية وإصلاحها" أكد فيه أن طريقة كتابة اللغة العربية لا تصلح أداة لحفظ كنوز الفكر والبيان ، وذكر بمقولة قاسم أمين الشهيرة أنه " في اللغة العربية ينبغي أن نفهم أولا ثم نقرأ لا نقرأ لنفهم" .(٢)

وثار المسرح العربي علي الاهتمام الشكلي باللغة ، وراح يقدم الدليل علي أن اللغة السهلة المفهومة يمكن أن تكون لغة الأدب والفن ، بل هي الأنسب لذلك .

وذهبت جرأة كتاب المسرح إلي حد الكتابة بالعامية وكانت آنذاك ثورة كبيرة ، حيث غير الحكيم معالم الفن المسرحي والأدب ،فانتقلنا معه من عصر الأدب بمعناه اللغوي إلي فن الأدب .(٣)

---

١ – زهرة العمر ، توفيق الحكيم ص ١٤٠.

٢ – توفيق الحكيم ، نبيل فرح ، الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة مصر ١٩٨٧م . ص ٥٤.

٣ ثورة المعتزلة ، د /غالي شكري ص ٨٨.

وتوفيق الحكيم واحد من رواد الكتابة السردية ،الذين تنقلوا بين الفصحى والعامية في إنتاجه الأدبي ،وهو من المفكرين الذين تنبهوا لهذه المسألة ،فبين أن أنسب لغة للكتابة خاصة المسرحية ،هي "اللغة العربية المبسطة التي تفهم في كل البلاد العربية ،واللغة العربية الصحيحة المبسطة التي تسمي بلغة الصحافة هي أنسب لغة"[١]،ودعا إلي "ارتفاع العامية قليلا إلي مستوي يمكن معه أن تصبح لغة عامة يفهمها ويتذوقها كل شخص في أي بيئة من البيئات العربية في داخل البلد الواحد وفي مختلف البلاد"[٢]، وطالب بأن تبلور "لغة عامية عمومية للبلد الواحد والبلاد العربية جميعا[٣]، ليتسنى للناطقين بالعربية فهمها وإن اختلف مكان إقامتهم وتباينت لهجاتهم، ورأي الحكيم يتناسب مع ما ذهب إليه محمد نجم عند إشارته إلي فريق ثالث من الأدباء الذين استعملوا العامية المفصحة.[٤]

وهذه المحاولة هي ما كتب بها الحكيم رواية "عودة الروح" يقول طه حسين مخاطبا الحكيم في ذلك :" وأنا أعرف أنك في "عودة الروح" قد اصطنعت لغتين اصطنعت لغة عربية فصيحة تحتاج مع ذلك إلي شيء من التحرير ، واصطنعت لغة عامية طبيعية ، ولكنك آثرت نفسك باللغة الفصحى ، فكنت إذا تكلمت أفصحت ،وإذا أردت أشخاصك علي أن يتكلموا أرسلتهم علي سجيتهم فتكلموا في لغتهم العامية كلاما عذبا حلوا . وكنت في هذا ملائما لما ينبغي أن يكون عليه الحال حين يريد الكاتب أن يصور حقائق الشعب كما يجب أن يكون ، أو كما هي في واقع الأمر . و لك في هذا خصوم ، كما أن لك في هذا زملاء . فزميلنا "تيمور" قد صنع نفس هذا الصنيع في أول أمره ثم أعرض عنه إلي اللغة الفصحى الخالصة ،ثم عاد إلي اللغتين جميعا ،واصطنع الفصحى لنفسه ، واصطنع العامية للشعب . وما أري أنك قد بعدت عن هذا المذهب .فأنت تصطنع العامية أحيانا أخري ، وليس من هذا بأس ، فما ينبغي أن يطالب الفنان بأكثر مما يستطيع أن يعطي ، فالحرية هي الأصل الأول للفن"[٥]

١- ملامح داخلية ص ١٣٠ -١٣١.

٢- ملامح داخلية ص ١٣١

٣- ملامح داخلية ص ١٣٣.

٤- فن القصة ،محمد نجم دار الثقافة ط١ بيروت لبنان ١٩٦٦ ص ١٢١.

٥ - أيام العمر "رسائل خاصة بين طه حسين وتوفيق الحكيم ، إبراهيم عبد العزيز ص ٣٨

فالحكيم زاوج بين اللغة الفصيحة، والعامية ،ففي(عودة الروح) ظهر صوتان لغويان، الأول فصيح مبسط تلفظ به السارد ،والثاني عامي حواري أجراه الحكيم علي ألسنة شخوصه. ومن الأمثلة السردية الفصيحة ما أخبر به السارد عن "محسن" يقول الحكيم :

ولكن "محسن " كانت له نفس من تلك النفوس التي تمج النعمة والترف ،ولعل من النفوس من عذبتها الثروة ..لقد كان محسن يخجل سرا ويتألم لأنه غني ، وكم من مرة ناضل وبكي وصرخ ،حتي لا يلبسه أهله ثيابا فاخرة !..وكم من تضرعات وتوسلات ودموع كي لا يرسلوا له العربة تنتظر خروجه بباب المدرسة !...لا شيء كان يذيبه خجلا سوي أن يبدو ممتازا علي أقرانه بثوب أو نقود أو مظهر ثراء ، واشتد به الأمر إلي حد أن كان يخفي اسم أسرته عن رفاقه!. (١)

فالحكيم من خلال المقطع ،نجد لغته مبسطة ،رشيقة ،مكثفة، يخبر ويصف ويلون ويصور،ولا أظن العامية قادرة علي تأدية هذا الدور، وبهذا القدر من الإيجاز والتوصيل.

أما العامية فكانت لغة الحوار الذي أجراه الكاتب علي ألسنة الشخصيات ،واحتل مساحة واسعة من المتن ،ولعل هذا ما أثار النقاد الذين استهجنوا علي الحكيم استخدامه العامية ومنهم المازني ،الذي رفض توظيفها في النصوص السردية ،ولا أظن هجومه علي الحكيم جاء لمجرد استخدام الأخير الحوار العامي ،ولكن لأنه أفرط في استعمال العامية وفي ذلك يقول المازني: " ولا بأس من العامية أحيانا ،فإن لها لمواقع تكون أظرف وأملح وأقوي تعبيرا، وأوضح دلالة ،وأحسن إشارة ،ولكن إذا جعلت الحوار كله بها فاستغرقت ثلاثة أرباع الرواية فلمن يا تري يكتب الكاتب وعامية القاهرة غير عامية الصعيد"(٢)

ومن أمثلة ذلك في رواية "عودة الروح" حوار دار بين زنوبة ومحسن تطلب من الأخير إحضار شيء من شعر مصطفي ،جاء فيه:

١– عودة الروح ، توفيق الحكيم ص ٥١

٢– مصادر نقد الرواية في الأدب العربي الحديث في مصر ، أحمد إبراهيم الهواري ص ١١٤.

- انت كمان يا محسن حلو، والنبي بسترتك وبنطلونك الجديد ده!
- فقال في لهجة صبيانية ساذجة: صحيح؟
- فقالت زنوبة وهي تنظر إلي شعره: والست الطاهرة ..بس يا خسارة!
- فسألها محسن في قلق: إيه؟
- انت بتحلق شعرك عند مين ؟ ليه؟ شعري ماله؟
- لا.. مفيش حاجه.. بس يعني المزين بتاعك مش شاطر قوي "[١]

فهذا حوار يمكن أن نتعرف من خلاله علي شخصية زنوبة ،التي تتعامل بالسحر والشعوذة ،وتحاول استغلال محسن لتصل إلي مآربها .

فنلاحظ هنا الاختلاف الكبير بين اللغة الفصحى التي استخدمها الحكيم في المقطع السابق وكيف وظف اللغة توظيفا رائعا في وصف الحدث الذي جاء علي لسانه ،وكيف انتقل بعض ذلك مباشرة للغة عامية جاءت علي لسان الشخصيات في الرواية ليصنع مزاجا رائعا بين لغة السارد واللهجة العامية ،وهو ما اضفي الحيوية في الرواية ،فقد استغل الحكيم ذلك استغلالا رائعا فأحدث تعددا لغويا أو كثافة لغوية .

هذا وقد استغل توفيق الحكيم هذه الخصوصية التي تتمتع بها العامية ليحقق سمة بلاغية هي " التناسب الصوتي" أو " التوازن الايقاعي" وأدرجها ابن سنان الخفاجي في كتابه " سر الفصاحة" تحت مفهوم " المناسبة بين اللفظين من طريق الصيغة" [٢] ليتحقق عبر هذا التركيب الهجين تعدد لغوي وكثافة لغوية نمثل لها بالرسم التالي:

١– عودة الروح ، توفيق الحكيم ص ٨٤،٨٣.

٢ – سر الفصاحة ابن سنان الخفاجي دار الكتب العلمية لبنان ١٩٨٢م ص ٦٥.

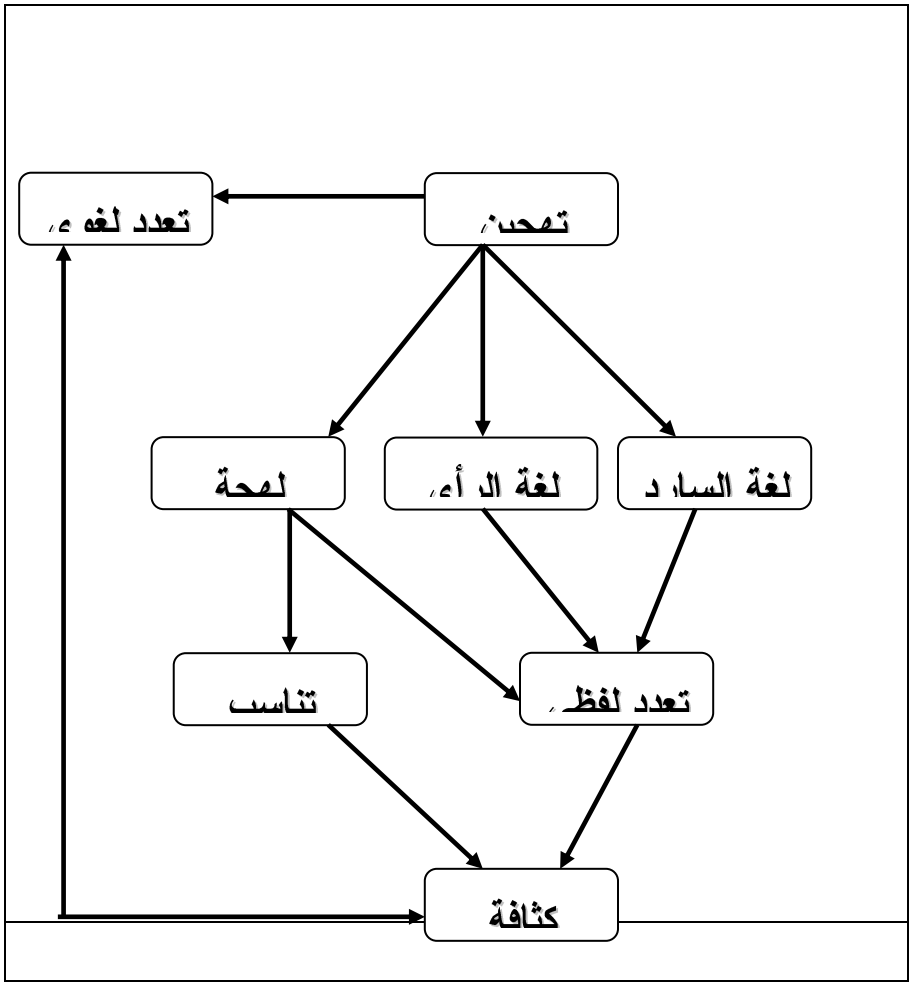

مثال ما ورد في عودة الروح يقول الحكيم : " زج بالخمسة في قاعة واحدة من السجن فناموا ليلتهم من فرط التعب ، فلما أصبح النهار قام " مبروك " قبلهم ، وأخذ يتأمل المكان ، ويتبين أرجاءه ، فوجد شباكا عاليا في ركن كأنه برج بارز ، فاحتال حتى ارتفع إليه ، ونظر من بين قضبانه ، فرأي ساحة فأجال بصره فيها ، فإذا في وسطها "عقلة" منصوبة ، وبجانبها "متوازيان" من الخشب ؛لعلهما وضعا لتمرين الضباط والجنود علي الألعاب الرياضية ، غير أن "مبروك" لا يعرف ذلك ؛ فما كاد يري هذه الأشياء حتي نزل يصيح : –نصبوا المشنقة...!!!

فما سمعه "الرئيس شرف حنفي " حتى فتح عينيه في الحال ، وانتفض هلعا ، ثم انتصب قائما علي قدميه يقول : – المشنقة!... هي حصلت المشنقة !... هم رايحين يشنقونا!... لا ... دا كلام ما ينفعش!..!

– قوموا ... قوموا يا أولاد!... دي داهيتنا تقيلة ولا احناش عارفين!.[١]....
وصمت قليلا أيضا يفكر في هول ما ينتظرهم ، وفجأة قفز إلي الرفاق النائمين ؛ كأنما لم يطق مجرد التفكير .[٢] ويئس منهم فتركهم ، والتفت إلي مبروك المطرق المفكر كذلك في الآخرة ، ولسان حاله يقول " جالك الموت يا تارك الصلاة" .....[٣]
ونلاحظ أن الحكيم في هذه الفقرة قد أحدث تعدد لغوي وكثافة لغوية تمثلت في :
١–لغة السارد " وهي فصيحة " متمثلة في قوله : "زج بالخمسة في قاعة واحدة من السجن ، فناموا ليلتهم من فرط التعب ، فلما أصبح النهار قام " مبروك " قبلهم ، وأخذ يتأمل المكان ، ويتبين أرجاءه ، فوجد شباكا عاليا في ركن كأنه برج بارز ، فاحتال حتى ارتفع إليه ،ونظر من بين قضبانه ، فرأي ساحة فأجال بصره فيها ،فإذا في وسطها "عقلة" منصوبة ، وبجانبها "متوازيان"من الخشب ؛لعلهما وضعا لتمرين الضباط والجنود علي الألعاب الرياضية ، غير أن "مبروك" لا يعرف ذلك ؛ فما كاد يري هذه الأشياء حتي نزل يصيح" .

٢–لهجة عامية متمثلة في الحوار مثل : " المشنقة!... هي حصلت المشنقة !... هم رايحين يشنقونا!... لا ... دا كلام ما ينفعش!..!
قوموا ... قوموا يا أولاد!... دي داهيتنا تقيلة ولا احناش عارفين!.[٤]....
٣–لغة الرأي العام والمتمثل في الجمل التي تقول في المجتمع بكثرة مثل : " جالك الموت يا تارك الصلاة" .....[٥]

وبالتالي فقد استغل الحكيم ذلك استغلالا رائعا فأحدث تعددا لغويا أو كثافة لغوية .
"وأخيرا ،يلاحظ علي لغة الرواية – برغم حيويتها وملاءمتها للأسلوب الروائي – عدم الدقة اللغوية أحيانا ،فبغض النظر عن استخدام العامية في الحوار ،الذي هو

---

١ – عودة الروح توفيق الحكيم ص ٥٣٨
٢ – عودة الروح توفيق الحكيم ص ٥٣٩.
٣ – عودة الروح توفيق الحكيم ص ٥٤٠.
٤ – عودة الروح توفيق الحكيم ص ٥٣٨
٥ – عودة الروح توفيق الحكيم ص ٥٤٠.

من مذاهب التعبير القصصي ،نجد المؤلف قد تورط في عدد من الأخطاء في السرد والوصف، وهو يلجأ إلي الفصحى باختياره. وهذه الأخطاء لا يمكن الاعتذار عنها إلا بعدم تمكن الكاتب من الأداة اللغوية في ذلك الحين. ومن ذلك – علي سبيل المثال – وصفه لعيني "حنفي" "بالأعمشتين " . وقوله عن القهوة المواجهة لبيت الأسرة :"فقد كانت الغوغاء والجلبة داخل القهوة تصم الآذان"(١)

وكذلك في التعبير في روايته بكلمة (التخت) حيث يقول توفيق الحكيم في (عودة الروح) :" ولم يلبث أفراد التخت أن دخلن ودخل معهن "محسن" فاستلفت أنظار أهل الفرح ، وسألت أم العروس "شخلع" قائلة : –اسم الله عليه ابنك؟.."(٢)
والصواب ما يطلق عليه (الجوق) كما ورد في أزاهير الفصحى حيث يقول عباس أبو السعود:" ومن الأخطاء الشائعة إنهم يطلقون علي جماعة الموسيقيين (تختا) والصواب أن تسمي (جوقة) بفتح فسكون، أما التخت فهو وعاء تصان فيه الملابس "(٣)

اللغة الثالثة والحكيم:

يقول الحكيم عن اللغة الثالثة: "مشكلة اللغة تعترضني هنا مرة أخري ، ومرة أخري أعود إلي محاولتي في "الصفقة" وغيرها : الاقتراب علي قدر الإمكان من اللغة العامية التي تتطلبها حياة بعض الشخصيات العادية أو التافهة ...إنها تجربة النزول باللغة العربية إلي أدني مستوي لتلاصق العامية دون أن تكون هي العامية ... والارتفاع بالعامية دون أن تكون هي الفصحى إنها اللغة الثالثة التي يمكن أن يتلاقي عندها الشعب كله.
لقد كان من أيسر الأمور اختصار الطريق باستخدام العامية أصلا، ومن أول الأمر ..لكن ذلك معناه استسهال الطريق وسده نهائيا أمام كل محاولة أخري ... يجب أن

١– الأدب القصصي والمسرحي في مصر من أعقاب ثورة ١٩١٩ إلي قيام الحرب العالمية الثانية د/ أحمد هيكل ص ٢٤٠

٢ –عودة الروح توفيق الحكيم ص ١٦٨.

٣ – أزاهير الفصحى في دقائق اللغة ، عباس أبو السعود دار المعارف ط.٢ ص ١٨٥.

نحاول دائما ولا نكتفي بتكرار ما نفعل .. لقد كنت منذ أكثر من أربعين عاما أستخدم العامية القحة حتى في السرد نفسه كما في قصة " العوالم" لكن المجتمع اليوم يتطور بسرعة ...الجهل يقل ... والعامية ترتفع.. والطبقات تتقارب ...ومستويات الكلام تتلاقي "[١]

فقد تحدث الحكيم عن مشكلة اللغة ، وعن اكتشاف لغة ثالثة بين اللغة الفصحى واللغة العامية فقال في تذييل مسرحية الورطة: " الاعتراف بوجود لغتين منفصلتين لأمة واحدة ،تسعي إلي إذابة الفوارق بين طبقاتها لأمر لا يبشر بخير . ولطالما عيرنا أهل اللغات الحية بأن لغتنا العربية صائرة إلي زوال؛ لأن الناس في تخاطبهم لا يتكلمونها . وكان أهل المصلحة منهم يمعنون في إيهامنا بعمق الهوة بين اللغة الفصحى واللغة العامية وباستحالة تلاقيهما يوما. والواقع الذي ألاحظه ويلاحظه كثيرون هو عكس هذا الزعم.[٢]

فالعامية هي المقضي عليها بالزوال . والفارق بينها وبين الفصحى يضيق يوما بعد يوم. ويضرب المثل علي ذلك ،فيقول: " ويكفي أن نستمع إلي فلاحنا أو عاملنا في مجلس اللمة، أو مجالس الإدارات ليتضح لنا أن لغة الكلام العادي قد ارتفعت إلي المستوي الفصيح فهو مثلا يقول :"دا موضوع يهم جميع الفلاحين"، أو "الأرباح دي تم توزيعها بالنسبة لأغلب العمال "فإذا تجاوزنا عن الإبدال للذال والدال في اسم الإشارة "ذا وذي وذه" الذي يصبح في التخاطب "دا، دي، وده" فإن العبارة كلها تصبح صحيحة ،وهذا النوع من الرخص والاختزالات موجود في اللغات الحية عند التخاطب بل وفي الكتابة الحوارية . وكذلك " اللي" بدل " الذي" و"بدي" بدل" (بودي) و "أيوه" بدل "أي والله" و ما اعرفشي " بدل "ما أعرف شيء" وكده بدل " كذا" .[٣]

---

١ – الطعام لكل جائع ،توفيق الحكيم ، مكتبة مصر للطباعة ص ١٨٥.

٢ – مسرحية الورطة ، توفيق الحكيم مكتبة مصر ص ١٧٣.

٣ – مسرحية الورطة ، توفيق الحكيم ص ١٧٨.

إن اللغة الثالثة كانت عند توفيق الحكيم تجربة تقع بين اللغة الفصحى واللغة العامية لإيجاد لغة صحيحة للمسرح لا تجافي قواعد الفصحى ،وفي الوقت نفسه يمكن أن تسيل علي ألسنة الناس العاديين فيفهمونها في أقاليمهم وأقطارهم ،وتبدو هذه التجربة لأول وهلة أن اللغة التي كتبت بها المسرحية عامية ،لكن القارئ إذا أعاد قراءتها طبقا لقواعد الفصحى وجدها سهلة تستقيم عباراتها مع الأوضاع اللغوية السليمة ، وتوقع الحكيم في نهاية بيانه أن هذه التجربة إذا نجحت فقد تؤدي إلي نتيجتين اثنتين:

أولاهما: السير نحو لغة مسرحية موحدة في أدبنا العربي ،تقترب من لغة المسرح الموحد في الآداب الغربية.

ثانيهما:التقريب بين طبقات الشعب وبين شعوب اللغة العربية لتوحيد أداة التفاهم بينهم (١).

وقد عقب محمد مندور علي هذا البيان بأن استعرض آراء النقاد الذين تحدثوا عن تجربة الحكيم في اللغة الثالثة ،وأول هذه الآراء :أن هذه اللغة لا تستطيع الحياة أكثر مما استطاعت ،وهي في طريقها إلي الموت ،وثاني هذه الآراء :أن اللغة لا تخترع اختراعا ،وإنما تنشأ نشأة طبيعية وفقا لمطالب الحياة ،وتتطور تبعا لقوانين عضوية ولغوية ثابتة.

ويري أصحاب الرأي الثاني أن اللغة العامية ليست وليدة فساد طرأ علي اللغة الفصحى ،بل هي تغير في اللغة طرأ عليها في أقطارها المختلفة ،وفقا لقوانين صوتية ونحوية مطردة، بحيث صار لكل لغة محلية خصائص معروفة يمكن ملاحظتها في حركات المد، وفي النبرات التي هي موضع ارتكاز صوتي وإذا كان واقع اللغة هكذا في النشوء فكيف يمكن أن تخترع لغة ثالثة يكتب لها النجاح والانتشار؟

---

١ مسرحية الصفقة ،توفيق الحكيم ص ١٥٥–١٥٧.

وثالث هذه الآراء أن نشأة اللغة نشأة طبيعية وفقا لمطالب الحياة والأدب ،لم يجعل منها وسيلة للتعبير الذهني كرموز الجبر فحسب ،بل اكسب كل لغة ظلالا وإيحاءات وشحنات عاطفية اكتسبتها من تكرار مرورها خلال النفس البشرية وتلونها بألوان تلك النفس ،وإذا كان الأدب لا يهدف إلي نقل المعاني فحسب ،بل يتطلع إلي ما خلف المعاني من ظلال وإيحاءات فإنه لا مفر للأدب من أن يستعمل لغة طبيعية لديها كل هذه الإمكانات التي اكتسبها عبر الزمن ،وقد رد الناقد محمد مندور علي هذه الاعتراضات بأنها لا تنهض فيما لو كان لدينا لغة عربية موحدة ،وأراد الحكيم أن يهجرها إلي لغة جديدة يخترعها اختراعا والناس لا يملكون مثل هذه اللغة الحية المفهومة من الجميع ،لأن لغتنا الفصحى قد نشأت وتجمدت في عصر وبيئة يخالفان عصرنا وبيئتنا لأسباب شتي لم تتطور اللغة ولم يتسع صدرها لكثير من مطالب العصر، والفن المسرحي تعوزه لغة سهلة قريبة المنال، وثيقة الصلة بواقع حياتنا الشعبية .غير أن التحفظ الذي أبداه محمد مندور وهو أنه ليس لدى الشعوب العربية لهجة واحدة بل جملة لهجات واستعمال هذه اللهجات في الأدب المسرحي أو القصصي يوسع الهوة بين شعوب العربية ويحول دون وحدتها في وقت هي في مسيس الحاجة إلي الوحدة ،واللغة أهم مظهر من مظاهر الوحدة .

ومحاولة الحكيم الكتابة فيما اسماه اللغة الثالثة – كما يري محمد مندور– ليست هذه المحاولة غريبة عن اللغة الفصحى ،بحيث تستحق أن تسمي لغة ثالثة بل هي في حقيقتها لغة عربية تكاد تكون لغة فصحي بمفرداتها ووسائل تعبيرها ورسم أصواتها وهذا الرسم مجرد رمز يمكن لأصحاب كل لهجة في بلاد العرب أن ينطقوا به وفقا للتغير الصوتي في تلك اللهجة. ويري الناقد /محمد مندور في محاولة توفيق

الحكيم أنها تجربة حية لا بفضل المفردات أو وسائل التعبير بل بفضل الاتجاه الذي يمثل نبض الشعب في تفكيره ومعتقداته وعاداته وتقاليده بلغة ذات إيحاءات وظلال وأحاسيس تكتب بها المسرحيات.[١]

١ – الحوار المسرحي وظاهرة الاتساع اللغوي عند توفيق الحكيم ، د/عطية نايف عبدالله ،ط١ دار يافا العلمية٢٠١٠. ، ص ١٦،١٧

الخاتمة

قد خرجت الدراسة بمجموعة من النتائج ، يمكننا أن نجملها فيما يلي :

١–يري البحث أن اللجوء إلي العامية أمر لا ضرورة له إلا إذا وظفه الكاتب لخدمة النص كرسم الشخصيات مثلا ؛لأن اللغة الفصحى قادرة علي التعبير عن الأفكار ، وتلوين الأحداث ،ورسم الصورة ، ونقل المشاعر إلي القارئ ، وإن تباينت ثقافته وتنوعت مستوياته الاجتماعية ، والحق أن توفيق الحكيم كان رائعا في تنقله بين الفصحى والعامية في روايته "عودة الروح".

٢– يلاحظ علي لغة الرواية – برغم حيويتها وملاءمتها للأسلوب الروائي – عدم الدقة اللغوية أحيانا ،فبغض النظر عن استخدام العامية في الحوار ،الذي هو من مذاهب التعبير القصصي ،نجد المؤلف قد تورط في عدد من الأخطاء في السرد والوصف.

٣–ويري البحث أيضا أنه إذا كان الخوف من خوض تجربة الكتابة بلغة ثالثة أن تتوسع الهوة بين اللهجات العربية التي تحول دون وحدتها، فإن هذه المحاولة قربت الشقة بين الفصحى والعامية في لغة القصص والمسرح مثل ما فعل الحكيم في تجربته الناجحة "عودة الروح" الذي نوع فيها بين الفصحى والعامية بشكل رائع. فقد زاوج بين اللغة الفصيحة والعامية ،ففي (عودة الروح) ظهر صوتان لغويان، الأول فصيح مبسط تلفظ به السارد والثاني عامي حواري أجراه الحكيم علي ألسنة شخوصه.

المصادر والمراجع

١ - أزاهير الفصحى في دقائق اللغة ، عباس أبو السعود دار المعارف ط.٢

٢-. الأدب القصصي و المسرحي في مصر من أعقاب ثورة ١٩١٩ إلي قيام الحرب الكبرى الثانية د/ أحمد هيكل ،دار المعارف ط.٤ ١٩٨٣م .

٣ - أحاديث مع توفيق الحكيم ، صلاح طاهر ، مطابع الأهرام التجارية – مصر – ١٩٧١م –

٤ - إشكالية الحوار بين النص والعرض في المسرح ،منصور نعمان نجم الدين ط.١ دار الكندي ١٩٩٨

٥- أيام العمر "رسائل خاصة بين طه حسين وتوفيق الحكيم ، إبراهيم عبد العزيز مكتبة الأسرة ٢٠٠٣

٦ – بناء الرواية دراسة في الرواية المصرية د/عبد الفتاح عثمان مكتبة الشباب – القاهرة ١٩٨٢م –

٧- البناء السردي في روايات إلياس خوري ،عالية محمود صالح ط.١ أزمنة للنشر والتوزيع عمان ،الأردن ٢٠٠٥

٨- تطور الرواية العربية الحدية د/ عبد المحسن طه بدر دار المعارف ط.٥ .

٩- تطور الرواية العربية قي بلاد الشام ،إبراهيم العسافين ،دار الرشيد – العراق ١٩٨٠م.

١٠- : توفيق الحكيم ، لوسي يعقوب

١١- توفيق الحكيم ، نبيل فرح ، الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة مصر ١٩٨٧م .

١٢ – ثورة المعتزلة دراسة في أدب توفيق الحكيم ، د /غالي شكري ،دار الآفاق الجديدة – بيروت ١٩٨٢م

١٣- الحوار المسرحي وظاهرة الاتساع اللغوي عند توفيق الحكيم ، د/عطية نايف عبدالله ،ط١ دار يافا العلمية٢٠١٠.

١٤ – دراسات في النقد العربي المعاصر ،محمد زكي العشماوي دار النهضة العربية بيروت ١٩٨٦

١٥- الدلالة الصوتية والصرفية في لهجة الإقليم الشمالي لمدينة البصرة د/ عبد القادر عبد الجليل ،دار صفاء عمان . ط .الأولي ١٩٩٧م

١٦- دور الكلمة في اللغة ستيفن أولمان ترجمه وقدم له وعلق عليه د/ كمال بشر مكتبة الشباب

١٧- زهرة العمر توفيق الحكيم دار الشروق القاهرة ط.٢ – ٢٠٠٨م.

١٨- سر الفصاحة ابن سنان الخفاجي دار الكتب العلمية لبنان ١٩٨٢م

١٩- السيرة الذاتية في الأدب الحديث ،شعبان عبد الحكيم محمد (د.ت)

٢٠- ٨٥شمعة في حياة توفيق الحكيم ، محمد السيد شوشة دار المعارف .(د.ت)

٢١- الصفقة ، توفيق الحكيم . مكتبة الفجالة . مصر د.ت

٢٢ – صورة المرأة في مسرح توفيق الحكيم ،عبداللطيف محمد السيد الحديدي ط.١ دار السعادة مصر

٢٣- الطعام لكل جائع ،توفيق الحكيم ، مكتبة مصر للطباعة

٢٤- علم الاجتماع اللغوي ، د/ السيد علي شتا : ٤٤ (الإسكندرية ، مؤسسة شباب الجامعة،١٩٩٦م)

٢٥- عودة الروح لتوفيق الحكيم ،مكتبة الآداب (د.ت)

٢٦- فن الأدب توفيق الحكيم مكتبة الآداب .

٢٧-فن القصة ،محمد نجم دار الثقافة ط١ بيروت لبنان ١٩٦٦

٢٨- في النقد المسرحي د/ غنيمي هلال ، دار العودة . بيروت لبنان د .ط. ١٩٧٥

٢٩- في نظرية الرواية د/ محمد الباردي ٢٠،٨٩ (تونس ،سراس للنشر ط١. ١٩٩٦م)

٣٠-. لغة الرواية السعودية (دراسة نقدية) مني المديهش وزارة الثقافة والإعلام ط.١ ٢٠٠٩م -

٣١-اللغة في النقد العربي د/ عبدا لحكيم راضي :٤٧٥ (مصر ، مكتبة الخانجي ط.١ ١٩٨٠م.

٣٢- مدخل إلي علم اللغة د/ محمود فهمي حجازي دار قباء للطباعة – القاهرة

٣٣- مستويات اللغة في السرد العربي المعاصر دراسة نظرية في سيمانطيقا السرد، د محمد سالم الأمين ط.١بيروت ٢٠٠٨

٣٤- مسرحية الورطة ، توفيق الحكيم مكتبة مصر

٣٥- مصادر نقد الرواية في الأدب العربي الحديث في مصر ، أحمد إبراهيم الهواري ،دار المعارف القاهرة ط.٢ -١٩٨٣م.

٣٦- ملامح أسلوبية جديدة في الأدب العربي الحديث ، بروفسور ساسون سوميخ ، مجمع اللغة العربية ط١ حيفا ٢٠١٢

٣٧- ملامح داخلية توفيق الحكيم مكتبة مصر الفجالة (د.ت)

٣٨- منهج البحث في التاريخ والتدوين التاريخي ، محمد عبدالكريم وافي، ليبيا ،جامعة قار يونس ١٩٩٥.

٣٩-نظرية الرواية د/السيد إبراهيم (القاهرة ،دار قباء ط١ -١٩٩٨م)

الرسائل والدوريات

١- التنظير المسرحي عند الحكيم ، رسالة دكتوراه

الدوريات

- صحيفة البيان الإماراتية :٢٢(ع٢٤٥، ١٣ محرم ١٤٢٤هـ)

- اللغة العربية وتحديات العولمة الثقافية ، محمد تاج ،مجلة "حوليات التراث "العدد٦" يونيو ٢٠٠٦ م كلية الآداب والفنون جامعة مستانم – الجزائر.

-اللغة في السياق الثقافي في الكتابة النسائية ، رفقة دودين ، مجلة الموقف الأدبي ،العدد ٤١٥، تشرين الثاني ٢٠٠٥م مشق اتحاد الكتاب العرب

-اللغة والتفسير والتواصل، د/مصطفي ناصف – الكويت، المجلس الوطني، سلسلة عام المعرفة ، الاصدار رقم ١٩٣،رجب ١٤١٥هـ

- فصول في الأدب والنقد ، طه حسين . المجموعة الكاملة . المجلد الخامس .الشركة العالمية للكتاب .الدار الإفريقية العربية . بيروت . لبنان د.ت، .

- في نظرية الرواية د/ عبد الملك مرتاض : ٨٩ (الكويت المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، سلسلة عالم المعرفة ، الإصدار رقم ٢٤٠ شعبان ١٤١٩هـ.